العدد(1378) السنة السادسة -الثلاثاء (25) تشرين الثاني 2008 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

من المحرر

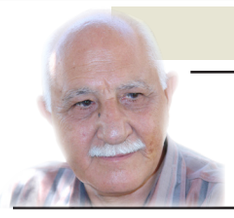

البدائي اللغوي والحضاري

باسم عبد الحميد حمودي

يؤكد هاندي على ان (الاشياء من حيوان ونبات وجماد لا تسمى في جزر هاواي او تشخص الا متى ما كانت مستخدمة فعلاً، ذلك ان ممارسة الاتصال بالاشياء المحسوسة عند المتكلم البدائي تدفعه لصياغة هوية لها أي تحديد اسم لها، انه يدرك ما يتعامل به وهو بعمله هذا يتطابق مع المحسوس اللغوي وهو محسوس يتطور ويزداد بمقدار معرفة الانسان بواقعه فمثلاً نجد ان جماعة البيغمة pygmees في الفيلبين يستطيعون تحديد اسماء مجاميع من الثدييات والنباتات والطيور وعادات وتقاليد كل نوع منها وتتم هذه التحديدات بمعرفة كل صنف أي بادراك هويته ثم يتمظهر هذا الادراك باللغة التي تعطيه وصفا فهم يميزون بين ١٥ نوعاً من الخفافيش وعاداتها و٢٠ صنفاً من النمل، اما هنود الهوبي الحمر فيعدون ٣٥٠ نبتة فيما يحسب النافاهو اكثر من ٥٠٠ نبتة في وقت يحوي قاموس السوبافون اللغوي اكثر من الف مصطلح نباتي، وقد نشر الباحث سيلانس (نقلاً عن كلود ليفي شتراوس في الفكر البري ص ٢١٩ من خلال لقائه مع دليل غابوبي مرجعاً سلالياً نباتيا تضمن نحو الـ٨٠٠٠ مصطلح موزعاً على عدة لهجات عائدة الى ١٢-١٣ قبيلة متجاورة، ذلك يعني ان اللغة تبدأ من الاحساس بمفردات الطبيعة الملامسة للانسان بحيث يختار هوية لغوية لكل مفردة يدركها ويتعامل معها من حيوان ونبات وجماد في وقت يكون فيه بعيدا عما لا يألفه ولا يتعامل معه فكريا، بمعنى لغوياً هنا.

ان ذلك يعني ان المدرك الحسي يتحول الى مدرك اجتماعي عند البدائيين يحمل اناقة الطوطمية التي تتدخل في ابلاغيته اللغوية او تحجبها فـ(التيوي) يستهلكون اسماء الاعلام من دون أي ضوابط

ان ذلك يعني ان المدرك الحسي يتحول الى مدرك اجتماعي عند البدائيين يحمل اناقة الطوطمية التي تتدخل في ابلاغيته اللغوية او تحجبها فـ(التيوي) يستهلكون اسماء الاعلام من دون أي ضوابط ولكل فرد منهم اسماء عديدة متمايزة وموت الفرد عندهم يعقبه تحريم استخدام الاسماء التي يحملها والاسماء التي اطلقها على الاخرين طوال حياته وذلك يتطلب قوة توليدية مستمرة لغوياً فضلاً عن القوة التوليدية للغة السحرية المقدسة الخاصة بهم ولكن ذلك التوليد امكن كسره بالبنية التداولية للمفردة بين اللغة العامة للتيوي ولغتهم السحرية.

ان الاستدلال العقلي واحد لدى جميع البشر الذين يتداولون الكلام في كل الشعوب ولكن لكل شعب لكل لغة شفاهية مستواها التداولي الخاص بها وسلوكها الاثاري المعبر الذي هو نتاج العلاقة بين الصوت والمعنى داخل اللغة وهذا المستوى مثقل بالتفاصيل النفسية والاجتماعية بمعنى اخر باستمولوجيا المفردة المنطوقة التي تتجمع مع غيرها لتشكل قوام الحكي، قوام الكلام الذي يكون مفتتحاً بعد هذا لقوام اخر هو قوام المدون المكتوب الذي هو قوام الفكر التاريخي للشعوب.

اهتم المؤرخون بالمربد وتناسوا سوق الكلاء

أسواق البصرة..ماض كبير وحاضر مزدهر

الحديث عن اسواق البصرة يحتاج لتفصيل طويل جدا، فهذه المدينة الممتدة في عمق التاريخ تحتوي تفاصيل كثيرة من الاختلافات والتميز كونها سحبت التاريخ باتجاه احداثها المتغيرة وارتباطها بالحضارة والثقافة العراقية منذ تاريخ تأسيسها وحتى يومنا هذا، فهذه المدينة التي انجبت العديد من فطاحل الادب والعلوم والمعرفة وكانت ايضا سوقا تجاريا كبيرا أو مجموعة اسواق متخصصة ولعل ابرز تلك الاسواق سوق المربد وسوق الكلاء، والاول ذكر في كتاب (انساب الاشراف) للبلاذري على انه كان منتزه من منتزهاتها، وسوق المربد كان الميدان الذي يلتقي به اللغويون بالاعراب لتلفظ الفصاحة كما جاء في كتاب (معجم الادباء).(الدستور) التقت شخصيات تاريخية واكاديمية لتعطي الصورة عن تلك الأسواق:

البصرة/ المدى

تاريخ الاسواق في البصرة

يتحدث التاريخ عن تلك الاسواق كثيرا ويقسمها الى اقسام عدة، ويورد الكاتب سامي البصري في حديث عن تلك الاسواق قائلا: ان الطريق التجاري الذي يمر بالمربد يخترق مدينة البصرة من شرقها حتى غربها حيث ان البضائع او القوافل التي تحمل تلك البضائع تمر بأغلب مدن البصرة مارة بأهم سوق وهو سوق المربد الشهير، والذي كان ملتقى الشعراء والمهتمين بالادب واللغة والتاريخ.ويتفق اغلب المؤرخين على ان (سوق المربد) هو اقدم اسواق البصرة بل انه باكورة الاسواق المنظمة هناك وقد سمي المربد مربدا بسبب انهم كانوا يربدون به الابل اي يحبسونها في مكان ما، والمربد مكانا خصبا لتلاقح الثقافات لانه كان يجمع بين كل الشعراء والمهتمين باللغة من جانبه يقول الباحث حسين القزويني:كان المربد يضم اكثر من سوق، اذ يحتوي على سوق لبيع وشراء الابل وبالتالي فانه كان يضم اسواقا فرعية مثل سوق التباتين وسوق الدباغين ونتيجة وجود الشعراء والادباء هناك فقد استحدث سوقاً آخراً هو (سوق الوراقين) وهو سوق يهتم ببيع وشراء وتجليد واستنساخ الكتب والمصاحف اضافة الى باعة الحبر والاقلام وجلود الكتابة وقد اشتهرت البصرة كثيرا بهذا السوق الذي ازدهرت تجارته بعد ان اصبحت البصرة ملتقى الشعراء واللغويين وهناك اكثر من رواية بخصوص وجود مايشبه المطبعة الآن تقوم بنشر الكتب والاصدارات آنذاك..ويضيف الكاتب انه إضافة الى سوق المربد فأن هناك سوقاً آخراً ربما اهمله بعض المؤرخين الحداثيين وهو سوق (الكلاء) وهذا السوق كان ايضا عبارة عن مجموعة من الاسواق الصغيرة تقع على البحر وكان اشبه بميناء كبير يستقبل البضائع من كل جهات الدنيا، ومن ثم يحملونها على الابل باتجاه سوق المربد وقد ذكر المؤرخون ان هذا السوق أو الميناء كان يزدحم بالسفن في موسم التمور وعنه قال الجاحظ: (يزدحم بالاسواق والسفن التي تربو في موسم التمور على الفي سفينة يوميا)..ومن اسواق (الكلاء) وابرزها سوق العلافين وسوق باعة البذور واصحاب الفسيل وسوق الدقيق الذي كانت تباع فيه جميع انواع الحبوب كالحنطة والشعير والرز وسوق القصابين او سوق الذباحين كما يطلق عليه آنذاك وسوق القيارين الذين يبيعون مادة القير وسوق السماكين وغيرها. وهناك سوق آخر قديم اسمه (سوق نهر بلال) وهو سوق كان يقع في نهاية الطريق التجاري بين بغداد والبصرة كان يضم سوقاً للصيارفة وسوق البلوريين وهم الذين يصنعون البلور والقوارير ويسمون ايضا بالزجاجيين، وسوق النجارين والندافين.

اسواق حديثة مندثرة

تمتلك البصرة في التاريخ الحديث العديد من الاسواق التي كانت تضج بالمتسوقين والباعة وخصوصا في منطقة العشار وعن هذا الموضوع يحدثنا الحاج ابراهيم البصري بالقول: ان للبصرة اسواق تختلف بطبيعتها عن باقي اسواق العراق، وقد جاء هذا الاختلاف نتيجة وجود بضائع تصلها عن طريق الدول المجاورة فهذه المدينة تتميز عن باقي المحافظات انها الوحيدة التي تقع على منفذ بحري واقصد على الخليج العربي، ولذلك فان بضائعها تكون مختلفة عن باقي البضائع نتيجة اتصالها بالعديد من الدول حدوديا مثل ايران والكويت ومن اشهر اسواقها القديمة (سوق هرج) في مركز مدينة البصرة ومنطقة العشار تحديدا وهو سوق يعود تاريخه الى اواخر العهد العثماني وتعود تسمية هذا السوق بهذا الاسم الى المناداة باصوات عالية من قبل الذين (يدللون) على بضائعهم وقد كانت ابرز بضائعه الثياب والالبسة بكل انواعها، وقد اشتهرت البصرة بملابسها الخاصة التي انتقلت الى اغلب البلدان العربية، وقد توسع هذا السوق بعد الحرب العالمية الاولى ودخول القوات البريطانية الى العراق حيث تغيرت البضائع واصبحت تضج بالمستورد.كما ظهر في تلك الفترة سوقا آخرا كان يسمى (سوق الهنود) وقد سمي بهذا الاسم نسبة للجنود الهنود الذين كانت تستخدمهم القوات البريطانية والذين كانوا يبيعون البهارات والتوابل الهندية وقد سمي هذا السوق ايضا بـ(سوق المغايز) وكلمة (مغازة) تعني المحل وهي كلمة فارسية، وهذا السوق كان في السابق موجودا ولكن بتسمية اخرى حيث تم تأسيسه في زمن ولاية (مدحت باشا) على العراق عام ١٨٦٩- ١٨٧٢ وقد امتلأ في زمن الاحتلال البريطاني بالمخازن والمحال حتى بلغ عدد محاله اكثر من ١١٥ محلا تجاريا تبيع البهارات والتحف اضافة لمحال خاصة بالحلاقين والجزارين والخياطين وغيرها من المهن الاخرى.

الاسواق اليوم

مازالت اسواق مدينة البصرة تتوسع في يومنا هذا بعد اتساع الرقعة الجغرافية للمدينة حيث تأسست العديد من الاسواق الحديثة ولايكاد شارع او محلة او زقاق لايحتوي بداخله على مجموعة من المحال التجارية، ولكن بقي سوق العشار هو الاكثر ازدهارا من ناحية البيع والشراء، فهذا السوق الذي يقع وسط المدينة يعج بالبضائع والمتسوقين وتراه مزدحما طوال النهار هذا ما حدثنا عنه السيد عبد الحسين هاشم واضاف: ان مدينة البصرة كانت وماتزال مدينة تجارية يعتمد عليها الاقتصاد العراقي بشكل كبير، وقد ازدهرت اسواق البصرة على الدوام، ولعل سوق العشار هو السوق الاكثر استقطابا للمتسوقين كونه كبيراً وبضاعته مختلفة ومتنوعة، كما ان موقعه وسط المدينة جعله ملتقى لاهل البصرة، ويمكن ايضا ان نقول انه شهد كسادا في الفترة الاخيرة نتيجة الحروب المتكررة في زمن النظام السابق وموجات العنف في الزمن الحالي، ومع ذلك فانه اعتاد ان يسترجع ازدهار بمجرد حدوث فترة هدوء وصمت لدى الجهات المتناحرة واليوم وبعد انتهاء (صولة الفرسان) وعودة السلام لمدينة البصرة عادت الاسواق لتشهد ازدهارا وحضورا زاهيا لابناء البصرة وضيوفها.

صدر حديثا

التراث الشعبي العدد الفصلي الرابع

غلاف الكتاب

صدر حديثاً العدد الفصلي الرابع من المجلة العراقية الفولكلورية (التراث الشعبي) في سنتها الـ٣٩ وتضمن العدد موضوعات في الادب الشعبي والثقافة المادية والحرف والصناعات الشعبية والعادات والتقاليد والحكايات الشعبية ومن تراث الشعوب والبلدانيات وغيرها من اصناف الفولكلور

ومن موضوعات العدد، ترجمة الدكتور ابراهيم الحيدري للجزء الثاني من دراسة المستشرق الالماني (ادورد زاخاو) عن (عتابات من وادي الرافدين) ودراسة مهيمن ابراهيم عن (الجذور التاريخية للاغنية العراقية)ودراسة جبار الجبيراوي عن (المعدان في معجم الاهوار) ومقالة رفعت الصفار عن (مجلة البوسنك) ومقالة قاسم خضير عباس عن الفولكلوري الرائد (لطفي الخوري) فيما كتب جاسم عاصي عن (الكتاتيب أيام زمان) ثم جاءت دراسة ناجح المعموري عن (قراءة التماثل بين ملحمة كلكامش والتوراة) فيما درس محمد رجب السامرائي (الطب الشعبي في الامتاع والمؤانسة) اضافة الى ابواب المجلة الأخرى

الأبعاد التاريخية والتراثية لتهديم السوباط في الصحن الحيدري الشريف

(4-1)

تعد مدينة النجف الاشرف من المدن العريقة ذات الطابع الديني ولها ابعادها الزمانية والمكانية، اقتصادية وسياسية لما تحمله هذه المدينة من معالم وتراث، وهي سجل لاحداث الماضي حيث رفاة النبي آدم (ع) ومهبط الاولياء ودار هجرة الانبياء، فيها استقرت سفينة النبي نوح (ع) ومنزل النبي ابراهيم الخليل (ع)، واستمرت الاحداث لتكتب تاريخاً مشرفاً لاولياء الله حتى تشرفت وضمت الجثمان الطاهر لسيد الوصيين وإمام المتقين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب التي تشهد اليوم، اعمالاً حضرية تحت عدة مسميات منها التجديد الحضري، التوسع، التطور... الخ، منطوية كلها تحت منهج واحد يتلخص بالهدم والازالة ان صح التعبير، وان كانت المدينة بحاجة فعلية الى مثل تلك الممارسات، فيجب ان تكون عن طريق مدروس ولايسيئ الى نسيج المدينة التقليدية الذي يحمل بين طياته كماً من الارث والمعان الروحية والحضرية، فضلاً عن تراكمات خبرة الاجداد والسنين العابرة في ادارة واستغلال الفضاءات والكتل البنائية. ان هذه النزعة من التأثيرات السلبية سرى مفعولها حتى الى الحضرة الحيدرية الشريفة، لتهدد نمطها المتماسك وطرازها المعماري الرصين.

أ.د. المهندس حيدر كمونة
جامعة بغداد – المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي

ولقد عانى المرقد الشريف والمنطقة المحيطة بها الاهمال، بسبب القيام بوضع دراسات حفاظ وتطوير ذات توجهات غربية وقرارات تخطيطية انفرادية أدت بالنتيجة الى مشاكل كثيرة وهدم كبير للمنطقة المحيطة بالمرقد وعزله عنها، كما ادى ذلك الى فقدان المنطقة لمعظم خصائصها الاسلامية، مما يتطلب دراسة تطوير الفضاءات المحيطة بالمرقد المقدس الشريف لمدينة النجف الاشرف لرسم التوجهات المطلوبة من اجل احياء هذا التراث المعماري المهم.

وان المشكلة الاساسية لهذه الدراسة هي ان اعمال التجديد والتوسيع الحضري التي جرت مؤخراً في مدينة النجف الاشرف عموماً وفي الصحن الحيدري الشريف على وجه الخصوص جاءت بنتائج سلبية على النمط المعماري والطرازي للنسيج التقليدي والصحن الشريف في الوقت نفسه.

وما ستتناوله هذه الدراسة بالنقد والتحليل لبناء رؤية علمية لمشاريع التطوير والحفاظ للمراكز التاريخية لمدن المراقد المقدسة. وسنقوم بذلك اعتماداً بالدرجة الاولى على مناقشة الافكار التي طرحها مصممو ومنفذوا المشروع في الدراسة المقدمة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة الكوفة – كلية الهندسة وادارة الروضة الحيدرية المطهرة في النشرة المسماة (مشروع توسعة الحرم الحيدري الشريف) (١) والتي تم توزيعها في الندوة المخصصة لمناقشة هذا الموضوع بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٩ في مدينة النجف الاشرف التي حضرها مجموعة كبيرة من السادة المعنيين ووجهاء النجف واطلع الجميع على مقترح التوسعة المقدم من مجموعة من المهندسين. وكذلك على الصور المأخوذة في الموقع والمأخوذة من مواقع الانترنيت لتحليلها علمياً.

وهناك مفارقة كبيرة في هذه المشاريع هو الملازمة بين عمليات الحفاظ والحاجة الى التوسع بغياب نظرة تخطيطية شمولية.

وفي ضوء هذا التشخيص يمكن تصور المنهجية النقدية لمثل هذه المشاريع من خلال النظر اليها من مستويين:-

الاول: يتعلق بمدى مراعاة هذه المشاريع للعلاقة العضوية بين المنشأ المعماري للضريح وبعده التخطيطي (التنظيمي) لعموم فضاءات المدينة والتكامل بين ما يحدث في الداخل والخارج.

الثاني: يتعلق بمدى مراعاة تلك المشاريع للمعايير والاهداف والتقنيات اللازمة لعمليات الحفاظ بحرفية عالية. حيث عانى هذا المرقد الشريف والمنطقة المحيطة به من الاهمال، بسبب القيام بوضع دراسات حفاظ وتطوير ذات توجهات غربية وقرارات تخطيطية انفرادية ادت بالنتيجة الى مشاكل كثيرة وهدم كبير للمنطقة المحيطة بالمرقد وعزله عنها، كما ادى ذلك الى فقدان المنطقة لمعظم خصائصها الاسلامية، مما يتطلب دراسة تطوير الفضاءات المحيطة بالمرقد المقدس الشريف لمدينة النجف لرسم التوجهات المطلوبة من اجل احياء هذا التراث المعماري المهم.

٢. الحرم الحيدري الشريف والمدينة

لقد كان الدين عاملاً اساسياً في نشأة الكثير من المدن ومنذ القدم فالدين بطبيعته عملية جماعية غالباً ما تؤدي الى تكون مراكز حضرية تنشأ حولها المدن، ومعظم مدن العراق القديمة يمكن رد نشؤها الى هذه الآلية.

وفي زمن الاسلام الذي كان في جوهره دين مدينة، حيث جاءت تعاليمه عاملا مشجعا للحياة فاعطى لحياة المدينة اهمية دينية، فنشأت المدن الدينية في العراق والعالم الاسلامي والتي اتخذت خصائص شتى فبعضها مدن للحكم الديني تاريخياً كما في كثير من عواصم وحواضر الحكم الاسلامي ومنها ايضاً مدن الحج كمكه والمدينة المنورة وكذلك مدن الاضرحة كما في مدينة النجف وكربلاء التي أدت فيها المراقد المقدسة دوراً في نشأتها وتطورها. (٢)

والقادم الى مدينة النجف الاشرف تلوح من بعيد تلك المنائر الذهبية مرحبة، مستقبلة، ومبشرة، وها هي القبة تزهو بفخر واعتزاز، فهي تضم بحنو مثوى وليد الكعبة، وشهيد المحراب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وها هي معالم الحرم الحيدري الشريف تقف بشموخ في مركز مدينة النجف التاريخية لتعلن نفسها نواة لتلك المدينة التي كانت ولاتزال مصدر المرجعية والتقليد، ومهد الحركات العلمية والادبية ام العلوم والتقوى والشعر والجهاد.

ففي عام (٤٠ هـ- ٦٦٢ م) عند استشهاد أمير المؤمنين على (ع) ودفنه في أرض النجف ذات الطبيعة الصحراوية وعلى حافة منخفض بحر النجف الجاف، كما انها تشكل وادياً بين ثلاثة تلال وهي ما كان يعرف بالذكوات البيض قديماً.كما وقف منخفض بحر النجف عائقاً أمام استمرار النمو جميع الاتجاهات فضلاً عن وجود مقبرة وادي السلام التي تحد المدينة من جهة الشمال الشرقي. وفي ذلك الوقت لم تكن النجف سوى قرية صغيرة، دفن الامام علي (ع) في طرف حافة القرية وظل موقع القبر الشريف مخفياً ردحاً من الزمن يزوره سراً اولاده وافراد اسرته حتى تم اكتشافه من الخليفة العباسي هارون الرشيد والذي امر ببنائه بناءاً جيداً سنة (١٧٠ هـ- ٧٨٧ م) وبذلك نشأت الجذور الاولى لعمارة النجف، اذ بدأ اتباع الامام (ع) بدفن موتاهم بجوار المرقد ثم الاقامة قربه ومنهم من هجر منزله في الكوفة ورحل الى النجف.في عام (١٧٠ هـ) وبعد ظهور القبر الشريف للإمام امير المؤمنين (ع) تمصرت النجف واتسع نطاق العمران فيها وتوالت عليها عمليات الاعمار شيئاً فشيئاً. فكان قبره الشريف هو الذي اعطى للمدينة طابع القدسية والاحترام، واصبحت مركزاً للزعامة الدينية ومحطاً لاهل العلم.(٣)

وتتميز مدينة النجف الاشرف بوجود المقبرة الكبرى (وادي السلام) والمدارس الدينية والجوامع والمساجد وظهرت معها ايام مخصوصة وغير مخصوصة لزيارتها... وقد تواترت على المدينة منذ نشأتها قوى حضارية سياسية مختلفة اثرت في مراحل تطورها... يتضح من ذلك ان نمو مدينة النجف وتطورها قد بدأ من حول المرقد الشريف الذي تركزت حوله الفعاليات السكنية والنشاطات التجارية والدينية وكان شأنه في ذلك شأن (المسجد الجامع) في المدينة العربية الاسلامية باعتباره مركزاً للحياة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية والتعليمية، وبسبب هذه الاهمية الكبيرة للمرقد الشريف احتل المركز الرئيس في مدينة النجف وعُدّ الاساس التنظيمي لعمرانها.(٤)

في عام (١٠٥٧ م) انشأت اول مدرسة دينية في مدينة النجف الاشرف تنتظم الدراسة فيها بشكل اشبه بالدراسة الاكاديمية اليوم. مما أدى الى حصول نقله كبيرة في تطور مدينة النجف فيما بعد، اذ اصبحت حاضرة علمية يقصدها طلاب العلم من مختلف انحاء العالم ليدرسوا مختلف العلوم الدينية والادبية والإخلاقية والفلسفية وغيرها وبدأت تصبح مقراً لعدد كبير من العلماء.(٥)

ومن ذلك يمكن الخروج بنتيجة وهي ان نشأة وتطور المدينة لم يتأثر بموقعها بالنسبة للارض بقدر ما تاثرت بموقعها بالنسبة للسماء فلولا وجود الحرم الحيدري الشريف لما كان لها ما لها اليوم من الاهمية.

٢-١. دور المرقد في نشأة مورفولوجية المدينة

بقدر تعلق الامر بهدف البحث الرئيس نسعى الى التعرف على الدور التكويني وتشكيل مورفولوجية المدينة الذي يؤديه المرقد وذلك للكشف والتأكيد على ان تغيير في طراز وعمارة المرقد قد تؤثر في المدينة ككل.

لقد نشأت مدن المراقد (ويتضح ذلك بشكل خاص في مدينة النجف) بفعل الدور التنظيمي المادي والروحي الذي يقوم به المركز باعتباره رمزاً روحياً يمثل القيم الدينية للمدينة وباعتباره المحور الوظيفي والتخطيطي وحتى المعماري الذي يتحكم بالفعاليات المحيطة به وامتد الى ابعد من ذلك ليحدد طبيعة توزيع استعمالات الارض وانظمة الشوارع وعموم الهيكل الفضائي والكتلي للمدينة فهو نواة المدينة حضرياً وروحياً.

ويمكن ادراك ذلك من خلال المراحل الرئيسة للشكل المعماري للمرقد نفسه والتي رافقها تشكيل النسيج الحضري حوله:(٦)

مرحلة التكوينات الأولية: والتي تضمنت بناء السور حول القبر ثم بناء الضريح ذاته وظهور القبه الأولية البسيطه فوقه.

مرحلة الشكل الحضري الاولي: من خلال ظهور بعض الدور والوحدات السكنية حول الضريح فضلاً عن بعض الفعاليات بشكل يترك بعض الفجوات الفضائية وهي نواة للتشكيل الفضائي لهيكل المدينة.

مرحلة بدء نمو تشكيل الهيكل الفضائي للمدينة من خلال زيادة حجم التجمعات وظهور فضاءات حضرية ملموسة تجري فيها بعض الفعاليات.

في الوقت نفسه تظهر مرحلة تطورية المنشآت المرقد ذاته بظهور السور المحيط بالضريح لوقف زحف المنشآت الى القبر.

مرحلة التبلور النهائي حيث يتخذ المرقد شكله المعماري النهائي ويظهر فضاء الصحن الداخلي كفضاء مركزي للمدينة ذاتها.

تتخذ الروضة الحيدرية الشريفة مركزاً محورياً ضمن مدينة النجف القديمة لتشكل بؤرة اساسية لتشكيل الفعاليات وتمحور الانشطة المختلفة حولها. ويمكن للراصد في المدينة ان يلاحظ بسهولة ما يأتي:-

التأثير الاجتماعي للحضرة الشريفة في السلوك الاجتماعي والفردي لسكان المدينة، فمحوريتها جعلت اغلب خطوط الحركة تمر بالقرب منها، فضلاً عن تمركز اغلب الفعاليات ضمن مجاوراتها. ومع امتياز النسيج الحضري المحيط بالمرقد بالعضوية والترابط نراه ينقل المتحرك داخل الازقة الى حالة الخشوع اللاشعورية والخضوع والاحساس بصغر الحجم عند الوصول الى المرقد، اذ ينتقل مباشرة الى الفضاء الواسع الصحن بعد ان كان ضمن نظام الازقة الضيقة الملتوية والمتعرجة.

التأثير المعماري للحضرة الشريفة: على الرغم من غياب معظم الضوابط المعمارية والتخطيطية مع اختلال بعضها الآخر، الا ان هيمنة الحضرة الحيدرية على مجاوراتها لايزال واضحاً برغم الابنية المرتفعة وغير المتجانسة في شكلها مع واقع الحال الروحي للمنطقة. ونجد التطبيق الصحيح لما يعرف بالمقياس الانساني ضمن اجزاء النسيج المتوحد للحضرة الشريفة مع المدينة القديمة، الذي يفسر حالة التأثير النفسي والاجتماعي في الفقرة (أ).

التأثير الجمالي: شكلت الزخارف والريازات والانهاءات والنقوش (سواء الهندسية منها أو النباتية) في الحضرة منبعاً مستمراً لالهام معماري ونقاشي المدينة لاعادة التقليد والتحوير وعكس ذلك على الابنية المختلفة وخاصة البيوت، كما اثرت بما يشبه توحيد للذوق العام وجعله رافضاً ومستهجناً لكل غريب ودخيل على العمارة التقليدية والاسلامية. اذ يتضح شذوذه عن النهج العام بصورة واضحة. ويمكن ملاحظة كفاءة المعالجات التخطيطية والمعمارية في توفير الاحساس بالوحدة والترابط من خلال تطبيق فكرة الفضاء المستمر بتطبيق ذكي وعميق لمبدأ التناظر والتكرار والايقاع الذين يدخلان ويتكاملان بشكل يتحسسه الانسان في اثناء حركته في الازقة والاسواق ويتعزز هذا الاحساس من خلال المعالجات المعمارية الاخرى كالفتحات في التسقيف التي توفر الاضاءة والتهوية، حيث تعاقب الضوء والظل تشويقاً عند السير في هذه الاسواق.

التأثير الاقتصادي: لما تشكله الروضة الحيدرية من محط انظار قلوب الملايين من المسلمين وارتيادهم لزيارتها في اثناء الايام العادية ولا سيما يومي الخميس والجمعة والمناسبات الدينية، فقد اصبحت اساساً جوهرياً في تفعيل النشاط الاقتصادي للمدينة ككل واختصاصها بالوظائف التي توفر الخدمات المختلفة للزائرين، وقد يصل احياناً محيط تأثير تشغيل العاملين فيها الى خارج حدود المحافظة احياناً. خصوصاً وان المناطق التجارية في المدينة القديمة تتجسد فيها الاسواق التقليدية وابرزها (السوق الكبير) الذي يشكل هيكلاً متجانساً ومترابطاً مع المرقد وبقية عناصر الهيكل الحضري وتختلط فيه التجارة مع الصناعات الحرفية وتتميز هذه الاسواق ببساطة المعالجات المعمارية الخارجية والتركيز على المعالجات الداخلية وخاصة طرائق التسقيف الآلي التي يوفر الحماية المناخية المطلوبة باعتبار ان الاسواق مخصصة لحركة السابلة فقط.(شكل ١)

ولقد استمرت مدينة النجف المقدسة بالنمو والتوسع ثم ظهرت عليها لاحقاً تغيرات كبيرة اثرت في عناصر البيئة الحضرية فيها بفعل التغيرات غير المدروسة ودخول السيارة الى داخل النسيج الحضري التقليدي. ولكن كان المرقد يؤدي فيها الدور المنظم والمنشط للفعاليات الحضرية وتشكيل النسيج والهيكل الفضائي. هذه الآلية للتشكيل تكشف عن العلاقة الفريدة بين معمارية المرقد الداخلية من جهة وتشكيل النسيج الحضري للمدينة، وان أي تغيير في التكوين المعماري للمرقد سينعكس على النسيج الحضري، وهذه العلاقة الدقيقة، يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار عند دراسة او الشروع بأي تغيير في معمارية الضريح وهو ما لم يؤخذ في الاعتبار في مشروع توسعة الحرم الحيدري الشريف.